المهمش في الرواية الجزائرية من منظور البيولوجيا السياسية لميشال فوكو

The Marginalized in the Algerian Novel from the Political Biology Perspective of Michel Foucault

أ.ليلة أجعود•

أ.د. آمنة بلعلى

مخبر تحليل الخطاب

جامعة تيزي وزو/ الجزائر

تاريخ الإرسال:2018/09/23 تاريخ القبول:2018/11/11 تاريخ النشر:2019/06/19

ملخص باللغة العربية: تسعى الرواية الجزائرية المعاصرة إلى كشف علاقة المهمش بالسلطة، ذلك أن حركة بناء الدولة في الوطن العربي، كشفت عن عملية بيولوجية سياسية، يقصد بها مجموعة من التحولات التي طرأت على شخصية معينة بتدخل السلطة السياسية؛ وباعتبار أن الرواية الجزائرية أصبحت اليوم جريدة المهمش بامتياز، فقد كشفت للقارئ كيف تعرض جسد المهمش إلى مجموعة من التغيرات، حيث تحول من جسد اجتماعي إلى جسد سياسي بتدخل السلطة، لذلك سيكون موضوع مقالنا :المهمش في الرواية الجزائرية المعاصرة من منظور البيولوجيا السياسية لميشال فوكو؛ لأن فوكو يركز على التحولات التي طرأت على الجسد من أجل استعراض طرق القمع والتعذيب التي تمارسها السلطة على المهمش، وعليه يجب الدخول إلى المؤسسات التي يعيش فيها لأنها تحمل حقائق خفية، تتجلى من خلال تحليل الجسد البيولوجي لمجموعة من المهمشين ؛ كالمرأة و المجنون والمسجون و المثقف.

الكلمات المفاتيح: البيولوجيا السياسية _ المجنون_ المرأة _ المسجون _ المثقف _جسد اجتماعي_ جسد سياسي

• باحثة دكتوراه، مخبر تحليل الخطاب، جامعة تيزي وزو lilaadjaoud2@gmail.com

Abstract : Summary in English languageThe contemporary Algerian narrative (account) is seeking to reveal the relation of the marginalized with the authority, since the nation building movement in the Arab world has revealed a biological and a political process which means a set of transformations that overtook on a particular personality by the political authority interference; considering that, the Algerian narrative (account) today became the marginalized newspaper with distinction. It reveals to the reader how the body of the marginalized faced a set of changes, whereas he transformed from a social body to political body with authority interference. There fore it will be the subject of our article: The contemporary Algerian narrative (account) from a biological and political perspective of Michel Foucault, Faucault emphasizes on the transformations that overtook on the body in order to show ways of restrain and torture that the authority exercised on the marginalized. Therefore, we should join the organisation where he lives, because it holds a hidden truth. Manifested through the analysis of the biological body of a group of the marginalized such us: woman, lunatic, prisoner and the intellectual.
The key words; the political biology, the marginalized crasy, the womans,

Social body, polytical body, intellectuel

يعد التاريخ الجزائري من الموضوعات الشائكة في الرواية الجزائرية، نظرا لارتباط التاريخ بالسلطة المهيمنة على الخطاب، فلا نجد فيه مكانا لصوت المهمش المقموع لذلك سنسعى اكتشاف المضمر والمسكوت عنه في مقالنا، ذلك باستخدام مفهوم **البيولوجيا السياسية** عند "***ميشال فوكو***" خاصة بعدما أصبحت الرواية الجزائرية المعاصرة اليوم جريدة المهمش بامتياز، حيث سمحت للهامش باحتلال مكانة هامة واستعرضت الجسد المقموع، وحولته من حالته الطبيعية إلى كيان سياسي.

تعرض الجسد عند العرب إلى "تمظهرات مهيمنة وخضع في كل مراحل حياته إلى سلطات عدة تمارس عليه أدوارها، ولا يمكن أن يكون بمنأى عن آليات حكم تحكمه، وتحدد تحركاته وحريته "[1] ذلك أن حركة بناء الدولة القومية في الوطن العربي كشفت

عن عملية بيولوجيا سياسية، لهذا وجب تحليلها ضمن هذه الشروط، من أجل فهم أن التهجين الذي أصاب الحياة العربية بمختلف جوانبها، سببه أن عملية البناء، من صنع سلطة بيولوجية، تأسست منذ البداية على إدارة الحياة لمختلف الفئات والطبقات الاجتماعية، من خلال التحكم في الحياة والموت.[2] ويتجلى ذلك بشكل ظاهر في التحولات التي طرأت على الشخصية في الرواية العربية المعاصرة، كونها تحولت من مفهوم البطل إلى جسد يتجلى من خلاله أشكال العنف، والسيطرة والهيمنة. ويرى ***ميشال فوكو*** أنه "يوجد سلطة مرئية تتجلى في الكثير من الأحيان في الخطابات السياسية، وسلطة لا مرئية تعيش في البياض الرحمي **(حسب جاك دريدا)** موجودة في الخطابات دون استثناء، فدور المثقف الجديد، حسب **ميشال فوكو** لا يكمن فقط في الوقوف مع الطبقة العاملة ضد الطبقة البرجوازية، ولا الوقوف مع التابع ضد المهيمن، ولا مع المرأة ضد الرجل وليس مع الشرق ضد الغرب، سيصيح المثقف مسكونا بدين ثقيل يتمثل في فضح واستجلاء الإستراتيجيات الخطابية لكل سلطة في كل التموقعات والتكونات القولية "[3] وعليه من أجل اكتشاف الطرق التي تم بها استبعاد البطولة عن عناصر فاعلة في التاريخ مثل: المثقف و المرأة و المجنون،،،الخ رأينا الوقوف على مجموعة من المعطيات التي قدّمتها لنا مجموعة من الروايات الجزائرية المعاصرة، من خلال تقنيات السرد والوصف والاعتراف لأبطال تناساهم التاريخ الرسمي، ذلك أن السرد المعاصر قد أولى الأهمية لصوت المهمش، فلم يعد سرد الأحداث يهتم بتحقيق برنامج سردي معين، يبين من خلاله الشخصيات الفاعلة وغير الفاعلة في النص الروائي، وبذلك يميز **عبد المالك مرتاض** تحولات الشخصية بين الرواية التقليدية والرواية الجديدة، فالشخصية في الرواية التقليدية، كانت هي كل شيء فيها؛ بحيث لا يمكن أن نتصور

رواية دون طغيان شخصية مثيرة يقحمها الروائي، بينما الروائيون الجدد لم يفتأوا ينادون بضرورة التضئيل من شأن الشخصية، والتقليص من دورها عبر النص الروائي."[4] فمفهوم البطل في الرواية المعاصرة لا يعرف مسارا ثابتا لتحقيق برنامج سردي معين، و ذلك لطبيعة العالم المعاصر الذي يسوده الفوضى والتشتت، والشخصية في الرواية المعاصرة مسيرة وليست مخيرة، كما تسعى الرواية المعاصرة تبيان مظاهر الخضوع وتجليات السيطرة على الشخصية من خلال وقوف السرد على استعراض التحولات التي طرأت على الجسد فالجسد كما هو متعارف عليه هو "جماعة البدن ومجموع أعضائه، التي يحافظ الكائن الحي على مختلف وظائفه"[5] وهي تعود إليه وإلى ذاته ليكون سيدا عليها، لكن هذه الأعضاء قد خرجت من سيطرة الذات إلى كونها موضوعا مستقلا عن الذات ينبغي تحليله للتوصل إلى فك شفرات المضمر السياسي.

لقد اخترنا الجسد بوصفه مسيرا بمفهوم البيولوجيا السياسية، التي هي إحدى الإستراتيجيات التي أدت إلى مفهوم نهاية الإنسان، الذي لم يعد بطلا كونه لا يستطيع تقرير مصيره؛ لأنه ليس حرا، فجسده أصبح كينونة تسيره الظروف السياسية في فترة معينة.

1_تحولات الجسد المسجون والمجنون من الطبيعي إلى الثقافي: من أجل الحصول على الحقائق التاريخية المغيبة في عصر من العصور، يرى **ميشال فوكو** أنه يجب دراسة الظواهر، من خلال انطلاقتها الفلسفية والبحث عن جذورها، لأن" الفلسفة تستغني عن كل تقاليدها، وتبرح لغاتها ومصطلحاتها، وتهجر أدواتها وتنزل المستشفيات

والسجون... ومهجورات المكتبات العامة والخاصة، والمقصود دائما ليس بعث التاريخ ولا مشاهده لكنه جعل التاريخ ذاته يقدم لنا حيله السرية.[6]"

تكشف رواية "الجريمة البيضاء" عن عملية بيولوجية سياسية، تصور إحدى المؤسسات المتعلقة بالعقاب، التي تتمثل في السجن، حيث يبدو رئيس السجن شخصية غامضة، يقوم بإصدار أوامر متعلقة بترويض جسد المساجين لصالح هذه المؤسسة، مستخدما طرقا تؤدي إلى ترويض جسد المسجون، بيولوجيا باستخدام الضرب، وبصريا باستخدام التعذيب النفسي كالقتل والتفنن في التعذيب أمام أعين المساجين.

الملاحظ على رواية "الجريمة البيضاء" أنها تعرف تراكما من الانفجارات القولية، التي تواجه الماضي والحاضر والسلطة لأن الجرأة والمواجهة تعد من سمات الرواية المعاصرة، فيقول **رامو** الشخصية البطلة في الرواية: "إنك كعرائس الماريونيت ترقص إجلالا أمام المتحكمين في خطواتك لتبكي ليلا من ألم الحذاء، عندما تحاول الصراخ سيلفونك بوشاح المال ويرسلون لك برقيات التهديد."[7] يكشف لنا هذا المقطع السردي استغلال السلطة لجسد المسجون، من أجل خدمتها وذلك من خلال مجموعة من التقنيات التي استخلصناها من الرواية نذكر منها: الترويض البصري والبيولوجي.

تعتمد السلطة على التفنن في تعذيب الجسد في السجون من أجل الترويض، وجعله خادما مطيعا، وتدفعه للقيام بارتكاب جرائم لصالح السلطة، خوفا من التعذيب البشع، الذي تقف الرواية على تصوير مشاهده لقطة فلقطة إذ لا يمكن لأي سجين الاعتراض على أوامر السلطة مهما كانت قذرة، وتقوم السلطة في الرواية على عملية القبض على مجوعة من الشباب في الشارع بسبب تهم بيضاء لا يعاقب عليها القانون،

وتقوم باستثمار أجسادهم، من أجل دفعها إلى فوهة الإجرام، والخروج عن القانون، لأن السجين لا يستطيع أبدا رفض الأوامر بسبب التعذيب بأنواعه: البيولوجي والبصري، وبذلك تخرج السلطة بريئة من كل التهم، أما السجين فيتحملها كلها.

يركز **ميشال فوكو** في كتابه "المراقبة والمعاقبة ولادة السجن" في حديثة عن البيولوجيا السياسية واستغلال جسد المسجون، على إحياء فصول التعذيب لحظة فلحظة، وذلك بالإيغال في تفاصيل المشاهد وأدق تفاصيلها فالتحليل يحاذي الوصف، بذلك فإن أسلوبه يعبر عن نتائج التحليل، ليس بالمعنى الفعلي، ولكن بالمعنى البصري، كما يركز على التحليل لأدق جزئيات السلطة والاستثمار السياسي للجسد[8]، فيؤكد **فوكو** أن التعذيب لا يتم فقط على المستوى الفعلي، إنما قد يتم أيضا على المستوى البصري، نلاحظ في هذا النص تركيز السارد على إبراز مظاهر التعذيب وتبئيرها من خلال وصف مشهد مقتل السجناء من بينهم شيخ كبير في السن يقول ***رامو***:" كثيرا ما ترامت أشلاء الضحايا في تلك الساحة خلف النوافذ، واختلطت رائحة التراب المبلل مع عفن الدماء، في هذه الليالي الدّيسمبرية الشديدة هذا هو الشيخ المسكين الذي أكل ليلة أمس من السوط ما لم يأكله طعاما في حياته كلها، يجر كحصان هزيل مضى إلى الحظيرة للتخلص منه، أقصد إلى المقصلة الخاوية منذ أيام،،،لم تعد هذه المقصلة في الوسط مخيفة لكثرة استعمالها أمام عيني المرهقتين من وراء القبضان." [9]

الملاحظ أن التعذيب البصري يستخدم من أجل ترويض المساجين في المؤسسات المتعلقة بالعقاب، كالسجن ومستشفيات الأمراض العقلية التي يرى **ميشال فوكو** أنه يجب البحث فيها أيضا؛ لأنها تحمل أسرارها الخاصة بها، ويتجلى ذلك أيضا في رواية

مملكة الفراشة لواسيني الأعرج، إذ تصور شخصية ريان واحدة من أسباب إصابة الشباب بالجنون في الجزائر، الذي يعود إلى فترة الإرهاب، فقد استدعت شخصية **ريان** من أجل القيام بواجب الخدمة الوطنية أين تعرض إلى هجوم إرهابي، هو وصديقه إسماعيل، وقد شاهد أمامه ما لم يشاهده حتى في المسرحيات الأكثر تراجيدية، فيقول باكيا وخائفا في حضن شقيقته **ياما:** "أشعر بألم كبير على إسماعيل، صديقي في الخدمة الوطنية، قطعوا رجليه في البداية، ثم قطعوا يديه، وهو يصرخ بأعلى صوته بأن يرحموه في قتله، ثم فقأوا عينيه بأصابعهم الغليظة...حاولت أن أتفادى مشهد الدم لكنهم ضغطوا على رأسي، بقوة ومنعوا عيني من الانغلاق "[10].

إن هذا المشهد قد حول شخصية ريان من شخصية متوازنة إلى شخصية تائهة تعاني الذعر والقلق النفسي، والخوف المستمر الذي جعله يفقد السيطرة على نفسه وقد تحول، إلى شخصية متلاشية، في عالم الخوف والكوابيس والمخدرات والسجن والجنون وفي الأخير يدرج أسمه ضمن قائمة المفقودين.

من خلال المقطع السردي السابق نستنتج أن سيطرة الفرد على الجسد مفهوم قد تغير إذ أن التغيرات السياسية من شأنها أن تطوع الجسد حسب رغباتها، وذلك باستخدام القتل، والتعذيب البصري الذي يؤدي إلى الجنون، وعالم المهدئات النفسية التي تتحول بدورها إلى البحث عن المخدرات مثلما هو الحال في رواية مملكة الفراشة، وفي هذا الصدد يرى **ميشال فوكو** أن المسألة في تاريخ الجنون تتعلق بوجوب" معرفة كيفية مشكلة الجنون وأسبابها في وقت معين عبر ممارسة مؤسسية معينة وجهاز مهيمن للمعرفة."[11]

ما يجدر بنا قوله في هذا المقام أن المرحلة السياسية المتعلقة بالحرب الأهلية في الجزائر، قد أحدثت مجموعة من التغييرات حول مفهوم الذات، إذ إن الأحداث الدموية في تلك المرحلة قامت بتقويض المألوف كمفهوم الجسد الذي تحول من سيطرة الأنا والطبيعة، إلى الجسد الثقافي أو السياسي الذي أنتج عنه هدم العقل وإنهاء سلطته؛ لأن التعذيب بصري، والبيولوجي سبب في ضياع مجموعة من الشباب، وإصابتهم بأمراض نفسية وعقلية، وفي هذا الصدد يقدم الروائي واسيني الأعرج روايته إلى القارئ بفاتحة يقول فيها:" الحرب ليست فقط ما يحرق حاضرنا، ولكن أيضا ما يستمر فينا من رماد بعد خمود حرائق الموت" [12] ونجد الساردة في الرواية لم تول أهمية للأحداث الدموية بقدر ما اهتمت بتجلياتها على الشخصية في تلك المرحلة، مصورة علامات الخوف والحزن والضياع والمخدرات والجنون الذي تتخبط فيه الشخصيات.

ومن هنا نستنتج من خلال الروايتين أن الجسد في مرحلة العشرية السوداء قد عرف تحولات نقلية من وضعه الطبيعي إلى الاجتماعي فالسياسي ولذلك يمكن القول أن الترويض البصري والبيولوجي من شأنه أن يغير من طبيعة الذات ذلك بسبب التعذيب السياسي وفي هذا الصدد يقول **رامو** في رواية "الجريمة البيضاء": "أتكلم بنعم ونادرا بلا"[13] ويقول أيضا معلقا على طريقة ترويض المساجين: " كنت أظن أن طوق الكلاب هذا لا يخص البشر،،، تبا بدأ يعيق تنفسي"[14]

أما فيما يخص مؤسسة مستشفيات الأمراض العقلية وعلاقتها بترويض الجسد، فنجد الروائي واسيني الأعرج يكشف أسباب الجنون، في فترة العشرية السوداء، وهذا ما ركز عليه **فوكو** إذ ينبغي الدخول إلى هذا النوع من المؤسسات من أجل معرفة أسباب

الجنون، وعلاقته بفترة سياسية معينة، فعن شخصية ريان التي أصيبت بالجنون، لظروف سياسية، تقول ياما: "معدل المغتالين يوميا أكثر من خمسين شخصا، غير الذين تفتك بهم أمراض الحروب، الأهلية من نوبات قلبية، وجنون وسكري، وتشكيلات السرطان".[15] إن هذه الأمراض تعود بالدرجة الأولى إلى التعذيب البصري السياسي، الذي ينتشر في الجزائر حسب الروايتين، المذكورتين كتقنية للترويض والترهيب من أجل الإخضاع والانصياع للأوامر، وتتمثل هذه الأوامر في رغبة السلطة السيطرة على المساجين في رواية الجريمة البيضاء، وتخويف الإرهاب للشباب من أداء واجب الخدمة الوطنية في رواية مملكة الفراشة.

وقفت رواية مملكة الفراشة على سبب أخر من مسببات الجنون في الجزائر في فترة حرجة من تاريخها، يتمثل في تحول النظام الاقتصادي الجزائري من محلي إلى عالمي، وذلك بدخول الجزائر في منظمة التجارة العالمية، فقامت باستيراد مهدئات خاصة بالأمراض العقلية، تتكون من جرعة من المخدرات حسب الرواية. تقول في ذلك **ياما:** أعرف أشياء خطيرة، قالها وهو يقترب مني،،،مخبر السلام ليس إلا غطاء لإنتاج المخدرات الاصطناعية، يرسل بعضها إلى المستشفيات المتعاقدة،،،مافيا الأدوية والمخدرات أقالت مدير صيدال السابق، وقادته إلى السجن، على الرغم من أنه كان وراء إصلاحها[16] يتبين لنا من خلال هذا المقطع السردي، الحقائق السرية لمؤسسات العقاب كالسجن ودورها في الترويض، وإعادة تسيير الجسد، حسب فوكو، كما يتبين أيضا أسباب الجنون السياسي، الذي لا يعود إلى أسباب طبيعية لو أخذنا بعين الاعتبار الظروف والمعطيات الواردة استنادا إلى الفترة التي تدور فيها مجريات الرواية، التي هي فترة العشرية السوداء، و أعمال القمع التي مارستها الجماعات الإسلامية المسلحة،

أضف إلى ذلك مساهمة التجارة العالمية، في ظهور المخدرات في أواسط شباب الجزائر في تلك المرحلة، ويلجأ إليها الشباب لأنها الملاذ الأخير، لأنها تنسيه فجائع الموت والدم والإرهاب. ولعل من بين الإشكاليات التي طرحت في الجزائر، تلك المتعلقة بإحصائيات ضحايا الإرهاب فقد اقتصرت فقط على عدد الموتى بينما بقيت ضحايا العنف والاغتصاب، المجانين، المعوقين والمفقودين من المسكوتات عنه وهذا ما تسعى الرواية الجزائرية الكشف عنه ذلك بإعادة قراءة التاريخ، من أجل سد الثغرات التي لم يتم التطرق إليها سابقا، فإذا عدنا إلى عمليات السلام بعد العشرية السوداء في الجزائر نجدها" قد أعطت الضوء الأخضر للعفو، عن أعداد هائلة من مجاهدي الله الذين وافقوا على تسليم سلاحهم... ونتيجة ذلك لا يزال أقارب المفقودين وسواهم من ضحايا العنف مستاءين إلى أبعد الحدود من الطريقة التي عولجت فيها قضيتهم."[17]

الملاحظ أن الساردة في رواية مملكة الفراشة ركزت على الذات المعذبة بصريا من أجل استخلاص المسكوت عنه من خلال سرد مسار ريان الذي هو من بين الفراشات التي" احترقت أجنحتها الهشة وهي أن تحفظ ألوانها، وتبحث عن النور في ظل ظلمة كل يوم تتسع قليلا" [18]على حد تعبير واسيني الأعرج في صفحة الإهداء، فلم تستطع شخصية ريان أن تحافظ على توازنها حتى بعد إخماد حرائق الموت لأن ذاكرته بقيت متعلقة بمشهد، مقتل إسماعيل، ما سبب له حالة إدمان على المخدرات وبعد ذلك دخول السجن أضف إلى ذلك الفترة التي يقضيها في زيارة مختص للأمراض النفسية. ومن هنا نصل إلى المعادلة التي تبدأ بالعشرية السوداء، كسبب يتميز بالتعذيب البصري الذي يؤدي إلى الاختلال العقلي والنفسي والمخدرات وتنتهي بالجنون.

2_**المثقف والرسم السياسي على الجسد:** يرى **ميشال فوكو** أنه " ليس بعث التاريخ ذاته يقدم لنا حيله السرية، فحتى نتعرف على حقائق السلطة والمعرفة، ليس التأمل النظري وحده هو دليلنا إليها، لكنه هو القبض على تلبسات ومصادفات وتورطات حقيقة لهذه الشبكيات، الدقيقة الموغلة في الصفر والهامشية."[19] من خلال هذا التعريف نستنتج أنّ للتاريخ تورطاته في تغيير منحى الجسد، من الذات إلى موضوع لاكتشاف ثغرات التاريخ كونه خضع لتأثيرات سياسية في فترة من الفترات.

يتجلى الرسم السياسي على الجسد، أو التغير السياسي لمنحى الجسد من خلال تطبيع الجسد بطابع معين، ويتجلى ذلك من خلال الرضوخ للمؤسسة المعذبة تارة، ولجوء إلى الرد بالمعارضة بالجسد تارة أخرى، باتخاذ تقنية الاعتراف والوصف والإيحاء والرمز، وذلك بالغوص أكثر في إشكالية حكم جسد المثقف التي تتضارب بين حكم الأنا (الوجود الطبيعي للجسد) وحكم مؤسسة معينة أو تجليات فترة سياسية محددة على الجسد كالسجن ومراكز الأمراض العقلية، الخ. أما فيما يخص علاقة الاعتراف بهذه الإشكالية، فلأنه أصبح تقنية سردية لاسترجاع الذات من حكم المؤسسة المهيمنة، كما أن استعراض الجسد المشوه هو خطاب معارض للمؤسسة ويتجلى ذلك في مجموعة من الروايات الجزائرية المعاصرة، من بينها "دمية النار" للروائي بشير مفتي، "توابل المدينة" لحميد عبد القادر، "بعد أن صمت الرصاص" لسميرة قبلي وغيرها حيث تستعرض هذه الروايات علاقة الجسد بالسلطة فاهتم بشير مفتي بعلاقة جسد المرأة بيولوجيا، بالعلاقات السياسية من خلال استخدام جسدها كتقنية للإغراء إضافة إلى كونها وسيلة للترفيه عن النفس، بينما اهتم الروائي حميد عبد القادر، باستغلال جسد المرأة من أجل ترويض الهوامش واستقطابهم إلى عالم القذارة، واهتمت الروائية سميرة

قبلي بالرد بالمعارضة بالجسد التي هي تقنية يستخدمها المثقف في الرواية لتقويض هيمنة السلطة ومفادها :الرد على القوي المهيمن والوقوف أمام هيمنته بسلاح الكتابة، ويقصد بها أيضا الرفض (رفض هيمنة السلطة).[20]

يعدّ جسد المثقف الموضوع الرئيسي الذي تسعى الروائية سميرة قبلي إلى استعراضه للقارئ، فقد رفضت الساردة حالة الصحفي غزلان الذي يعيش في أرض المنفى، وبالمقابل سمح الخطاب الرسمي القاضي بالمصالحة الوطنية للإرهابي العودة إلى الديار، فجعلت الشخصية البطلة تحارب السلطة والإرهاب، الذي رسمت على جسده تضاريس وثقوب، بفعل الرصاص، فيواجه مستخدما الرسم الأدبي الجَلد الجسدي والنفسي الذي عاشه جرّاء سياسة الجزائر بعد إعلانها عن عملية السلام أو المصالحة الوطنية، فالرواية تحكي للقارئ الجسد المقموع بيولوجيا، من خلال تلك الجمل القولية التي يصرح بها تارة، وتصرح بها الساردة تارة أخرى، فإذا وقفنا عند تحليل جسد الصحفي المغترب نتحصل على الحقائق المضمرة التي غيبها التاريخ ولعل أبرزها الجسد البيولوجي المشوه، إضافة إلى فئات أخرى مهمشة لم يذكرها التاريخ فتقول الساردة: "كلماته كانت تفكك دموع الأرامل وهن يندبن حضهن التعيس...ليس لشيء سوى لأن خناجر الذل ورصاص الظلم طال أزواجهن ويتم أطفالهن وفتح باب الضياع..."[21] فنجد الساردة تولي أهمية للمرأة الأرملة والأطفال اليتامى في مرحلة العشرية السوداء لأن هذه الفئات قد نسي التاريخ الرسمي ذكرها إضافة إلى المرأة المغتصبة التي بقيت في الهامش ومن المسكوتات عنه تقول الساردة: "هل ستسمح الملائكة باغتصاب العذارى ويقر بطون الحوامل."[22]

تتدخل بدورها مؤلفة الرواية لتضيف شهادة أخرى إلى الجسد الذي هو التاريخ بعينه، لتقوم بتقويض الخطابات الرسمية التاريخية قائلة:

قناديل جسدك

هي التاريخ..

وجرحك هو الأبد[23]

وبعد قراءتنا لمجمل الرواية نجد أن الساردة تستخدم تقنية الرد بالمعارضة بواسطة الجسد، فللجسد شهادته أيضا، حيث تجعل له لسانا يتكلم، ليعارض السلطة والإرهاب، في فترة العشرية السوداء من أجل المطالبة بإضافة لائحة من الفئات المهمشة إلى التاريخ؛ لأن أجسادهم شهدت القمع والتهميش، فبينما استدعي الإرهابي للمصالحة بقي المثقف الصحفي مغتربا وجروح الرصاص تخترق جسده إضافة إلى بقاء المرأة المغتصبة، والأطفال اليتامى والأرامل في الهامش فتصف الساردة حالة المثقف في تلك المرحلة قائلة:

"يحاول أن يضع عنوانا

لكنه يخرج عن النص

كما خرج هو من الوطن

مصالحة تقضي بالعفو عن كل المجانين الذين حملوا السلاح ضد الأبرياء والضعفاء والمبدعين"[24]

إن الرواية قد استندت إلى الواقع الذي يمس اغتيال شريحة كبيرة من المثقفين والصحفيين من أمثال ***طاهر جاووت*** و***سماعيل يفصح***، من أجل أن تعزز قضية الجسد المثقوب بالرصاص ففي الفترة نفسها التي قتل فيها هذين الصحفيين، بقي جسد غزلان على قيد

الحياة كحقل رقان الذي زرعت فيه الألغام، وهو مستعد لينفجر في أية لحظة، لكنه اختار الانفجار بالكتابة والورق ووصف الجسد فيقول:

"هل لي أنا ابن القصبة أن أنكر أن التاريخ يعيش في جسد المجاهد

هل لي أن أنكر أن أصابعه المبتورة هي التاريخ"[25]

إنّ مفهوم البيولوجيا السياسية، في رواية بعد أن صمت الرصاص، يمكننا من التركيز على كشف المضمر والمسكوت عنه، في التاريخ الرسمي مستخدما الجسد، لكنه توسّع ليشمل آثره على الحياة الاجتماعية التي يسودها الحزن والألم فقد ركزت الرواية أيضا على تأثير الجسد المقموع سياسيا، على مفهوم الحب فيقول الصحفي غزلان متعريا أمام قرائه وحبيبته:

"هي تشرب النبيذ ولا تسأل عن حال العنب

كم هي مستهترة وكم أطلب أنا المستحيل

تمر على حقل من الألغام دون حذر، تعلق مرات وتعبر مرات ولم تفكر يوما

ماذا لو انفجرت الألغام بين يديها، بين شفتيها؟ كيف سيؤول مصيرها؟

هل هناك امرأة بهذا الشكل؟"[26]

كتبت سميرة قبلي روايتها في قالب شعري، يسمح لجروح الجسد والروح بدورها أن تتكلم، فهذه الجروح التي لم يكتبها التاريخ هي جروح بيولوجية لها انعكاساتها على الحياة السياسية التي تؤدي إلى النفي والاغتراب عن الوطن، إضافة إلى تأثيراتها على الجانب الاجتماعي كتغيرها لمفهوم الحب بالنسبة للجسد المشوه حسب الشخصية البطلة في الرواية فتقول الساردة:

"هل سيتركها تعرف الجزائر من خلال جسده فقط

هل سيتركها تقرأ نصوصه، تملقا وتضاجع جسده المعطوب دون مبالاة بالعطب "[27] تستنتج من خلال هذا المقطع السردي أن الجروح الجسدية التي يعيش معها المثقف تشكل رمزا يعبر عن المضمر والمسكوت عنه والجرح الأبدي للجزائر كون التاريخ الرسمي قد غيب مجموعة من أبطال التاريخ عن الشهادة رغم استحقاقها.

رغم أن الرواية الجزائرية عرفت بطابعها التسجيلي، وهيمنة الحدث الثوري عليها بعد الاستقلال إضافة إلى هيمنة الأحداث الإرهابية بعد العشرية السوداء، لكن المحلل لرواية **بعد أن صمت الرصاص** للروائية **سميرة قبلي** يلاحظ هيمنة قيمة الإنسان والذات، على الأحداث الدموية والإرهابية، إذ جاء النسق الإنساني فيها أكبر من النسق الإرهابي ذلك باستعراض الأحداث عبر الجسد، فالجسد المشوه والمهمش، يمثل موضوعا أكبر من الأحداث الإرهابية، ومن التاريخ نفسه فيقول غزلان متحديا التاريخ : "كنت أستغرب وقتها فيما أرى يدا دون أصابع،، ولكني فهمت مع الوقت أن أصابعه كانت ثمنا لحريتي وثمنا لمدرستي وثمنا أيضا لقطعة الحلوى...."[28] ويواصل معاتبا التاريخ مستخدما أسلوب التعجب والاستفهام "كيف لهذا الرجل أن يصبح بائع حلوى! لماذا لم يكن أيضا مسؤولا كبيرا؟... ويواصل "أين التاريخ؟ "[29].

يمكن القول من خلال ما تقدم أن الجسد المهمش يمثل خطابا معارضا للسلطة والإرهاب كونه يحتوي على حقائق مغيبة، لذلك ركزت الساردة على الذات المشوهة نفسيا وبيولوجيا كموضوع للدراسة، يرى **ميشال فوكو** في هذا الصدد أن العودة إلى الذات، من أجل استخلاص المعرفة هو البحث عن الحرية المفقودة. فيكشف **فوكو** القناع عن المجتمع المدني في أنه عبارة عن ذوات، خاضعة لعلاقات القوة هذه القوة

غالبا ما تكون مرتبطة بالقمع الذي لا نستطيع اكتشافه في العلاقات الرسمية الظاهرة، بذلك يتوجب العودة إلى التحليل والتأويل باستخدام حفريات المعرفة، وتحليل الرموز المتواجدة في الخطاب[30].

ولعل على هذا الرسم البياني المتعلق بالجسد البيولوجي للمغترب وعلاقته بالرد بالمعارضة يوضح ذلك:

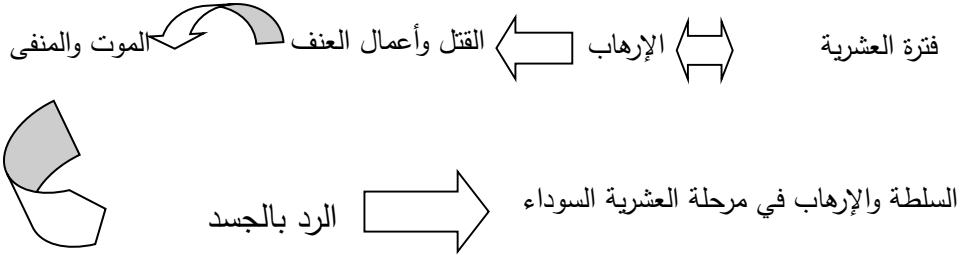

3 _ **المرأة باعتبارها أداة للهيمنة السياسية:** تعد المرأة منذ نشأتها أكثر خضوعا، وتأثرا بالمجتمع والثقافة، إذ أن المرأة الجزائرية هي ابنة المجتمع الأبوي، الخاضعة لموروثه؛ وتقاليده، فطبيعة المجتمع الأبوي، تقتضي تحكم الرجل في أمور الأسرة وسيطرته على المرأة، كما أن حفاظ الرجل على شرفه جعله يبالغ في التشديد عليها خاصة مع وجود الأجانب الغاشمين، يضاف إلى ذلك أن فترة الاستعمار لم تكن لتعطي الحرية الكاملة للمرأة فكانت كل الظروف ضدها [31]

إن سيطرة الرجل على جسد المرأة في الرواية الجزائرية المعاصرة مفهوم قد تغير، إذ أن هذه السيطرة أصبحت تتشابك مع الهيمنة السياسية والثقافية ويظهر ذلك جليا في مجموعة من الروايات، كاستخدام جسد المرأة في المهام البوليسية، من أجل الإغراء والقيام بمهام لصالح جماعة سياسية معينة، في روايتي: **فخ في تل أبيب** *لعز الدين*

العمراني **والجريمة البيضاء**"*لعمر بن شريط*"، كما يلعب جسد المرأة أيضا دورا كبيرا في مواجهة التاريخ الرسمي في رواية **رائحة الذئب** *لسامية بن دريس*، بذلك يكمن القول أنه لم يعد جسد المرأة مجرد كينونة اجتماعية، إنما قد تحول اليوم إلى جسد سياسي يلعب دورا في المهام السياسية.

ولعل هذا الرسم البياني يبين تحولات جسد المرأة بعد الهيمنة السياسية عليه

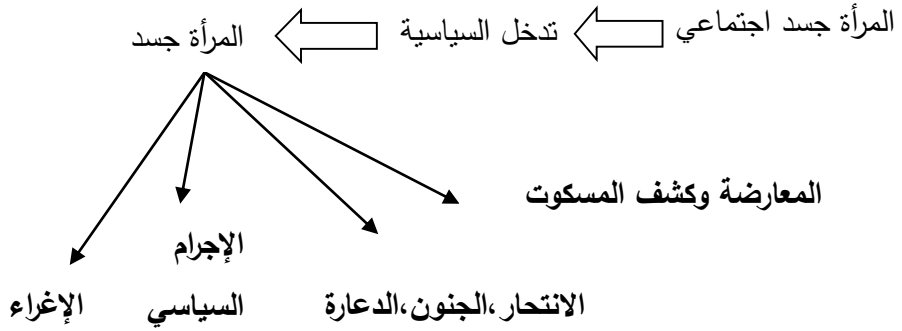

من أجل أن نشرح هذا الرسم البياني سنقف على مجموعة من المقاطع السردية في مجموعة من الروايات الجزائرية المعاصرة، فتقول سارة بنجامين في رواية **رائحة الذئب:**" صوتي في نهر التاريخ المتدفق كالهواء في بؤرة الضمير الإنساني، ومثل المدينة الساخنة التي تخترق الأحشاء حسنا أنا اللطخة الحمراء والداء المزمن."[32] يمثل جسد سارة بنجامين ذاكرة سياسية تعارض التاريخ من أجل كشف المسكوت عنه في فترة الاستعمار الذي يتمثل في غزو فرنسا للجزائر وبقاء الأقدام السود والمعمرين فيها، فهي ثمرة علاقة جنسية لقائد فرنسي مع والدتها الحقيقة، فحكاية سارة تمثل مضمرا من مضمرات التاريخ، والاستعمار الذي أدى إلى تقويض مجموعة من الثوابت في الثقافة

الجزائرية كالوجود والكينونة التي تعود إلى مؤسسة الزواج، فنجد سارة بنجامين تكشف حقيقة مضمرة في التاريخ الجزائري ذلك من خلال جسدها الذي يمثل اللطخة الحمراء حسب قولها، فوجودها هو ثمرة اغتصاب العذارى واختراق عذرية المرأة الجزائرية في فترة الثورة المسلحة، وقد أدى أيضا جرح الاغتصاب في مرحلة العشرية السوداء إلى إعاقة بيولوجية تعود إلى أسباب نفسية متجلية عن الكتمان، في رواية **تاء الخجل** من بين هذه الإعاقات الصمت والاكتئاب الذي ينبغي على القارئ تحليله والوقوف عند دلالاته فليست الكلمات وحدها تعبر عن المعنى فمأساة الجسد في الرواية المعاصرة أشبه بسجن أفلاطون وأشبه بمأساة "ذلك الرجل الذي سمح له أفلاطون في جمهوريته الخروج من الكهف، فتمت له رؤية الأشياء على حقيقتها، ثم أدرك بعد عودته إلى الكهف بأن الحديث إلى أولئك الذين لم يزالوا مقيدين بالسلاسل والوهم والظلال، أمر لا سبيل إلى إيصاله لأن عالمهم الحقيقي الوحيد لديهم، هو عالمهم هذا"[33] فمن أجل الحصول إلى الحقيقة لا يجب أن يكتفي القارئ بتحليل اللغة الموجودة في الخطاب لأن اللغة وإن كانت تطابق الفكر عند مجموعة من علماء اللغة، إلا أنها لا تعبر عن الحقيقة دائما فللصمت أيضا دلالاته المضمرة والخفية. فتحليل الجسد البيولوجي وتجليات فعل الإرهاب على الجسد يعبر أكثر عن الحقيقة. يربجاك دريدا في هذا الصدد "أن التفكيك هو فضح عجز اللغة وحقيقتها السرية التي تتستر والفكر عليها بوسيلة اللغة نفسها"[34]، فتقول الساردة في الرواية: "إن خمسة آلاف امرأة اغتصبن منذ سنة 1994وقلت إن ألف وسبعمائة امرأة اغتصبن خارج دائرة الإرهاب، وقلت إن الوزارة لا تهتم، وقلت إن الأهل لا يبالون، طردوا بناتهم بعد عودتهن، قلت إنهن أصبن بالجنون ارتمين في حضن الدعارة، انتحرن. "[35]

باعتبار أن جسد المرأة قد دخل في صراع سياسي إيديولوجي، فإن هذا الجسد لم يعد ملكا للرجل الذي يمثل الزوج أو الأب والأخ، إضافة إلى تقاليد المجتمع التي ساهمت بكل الطرق على إبقاء المرأة في الهامش، فقد قررت البوح والاعتراف بأن جسدها أصبح أيضا كينونة سياسية، وهذا التحول حسب السرد الروائي أمر تتحمله المرأة وحدها، وكي تثبت كونها هامشا مظلوما قررت السرد بالجسد، والخوض في غمار البوح، بالكتابة من خلال ذكر أسباب الانتحار، والصمت، الجنون...الخ

قامت الروائية الجزائرية ديهية لويز باختراق المألوف في روايتها **سأقذف نفسي أمامك** فقد أخرجت المرأة الجزائرية من ثنائية الخضوع للمجتمع والرغبة في التحرر، إلى علاقة المرأة بالإجرام السياسي من خلال شخصية إيناس، التي قتلت الدركي الذي قام باغتصابها بإحراقه بالزيت في مرحلة سياسية حرجة من تاريخ الجزائر وهي مرحلة الربيع الأمازيغي، والصراع حول الهوية الأمازيغية.[36] الملاحظ من خلال هذا النموذج أن هذا التحول والاختراق الذي خاضت المرأة في غماره، أمر تتحمله وحدها لذلك قررت هذه الشخصيات الكتابة والاعتراف على الورق من خلال الرسائل التي من خلالها تعترف بالحقائق بعد الموت، فقد قررت إيناس ترك رسالة لصديقتها مريم تكتب فيها أسباب قتلها للدركي، كما تعلق الساردة في رواية تاء الخجل على حالة المرأة المغتصبة قائلة: "وحدهن المغتصبات يعرفن معنى انتهاك الجسد وانتهاك الأنا، وحدهن يعرفن وصمة العار، وحدهن يعرفن التشرد والدعارة والانتحار وحدهن يعرفن الفتاوى التي أباحت الاغتصاب"[37] فتقوم الساردة بالمعارضة بالجسد وكشف المضمر الديني في هذه الفترة السياسية الحرجة، من خلال وثيقة عثر عليها بعد مجزرة طلحة واجتياح الجيش الشعبي الوطني لمنطقة أولاد علال، توضح فيها أدبيات الوطء لسنة 1417هـ

المصدر مجهول وقد كتب فيها ما يلي: "الأمير هو الذي يهديها، لا يقبّلها إلا من أهديت له وبإذن الأمير، لا تجرد من الثياب أمام الإخوة، لا تضرب من الإخوة بل ممن أهديت له، ويجوز أن يفعل بها ما يشاء في حدود الشرع" [38].

من خلال التجليات التي تظهر على جسد المرأة والآثار البيولوجية والنفسية الناتجة عن الاغتصاب كالجنون والمرض والانتحار، يتجلى المضمر السياسي والديني في فترة العشرية السوداء، حيث أنه من خلال الوثيقة المرفقة بالرواية التي أباحت فعل الاغتصاب شرعا، نستنتج أن للقراءة الدينية مضمراتها الخفية، أضف إليه أن السلطة لم تحرّك ساكنا حسب الرواية لذلك نجد انتشار الجنون والانتحار أواسط النساء المغتصبات في تلك الفترة.

إن الرواية الجزائرية قد عرفت تحولا واسعا حول مفهوم الذات، حيث أنها لا تستند إلى تحقيق برنامج سردي معين إنما تهتم بكشف الإضمار والمعارضة بالجسد، لأن الجسد من منظور فوكو من شأنه أن يكشف حقائق متعلقة بفترة زمنية معينة، وعليه يجب على المثقف دراسة أسباب الحالة التي توصل إليها الجسد من أجل كشف حقائق متعلقة بالسلطة والتاريخ، فالتاريخ حسب البيولوجيا السياسية يتواجد في جسد وبيولوجيا الهامش، الذي يعيش على الأطراف مغيبا، وعليه يجب الدخول إلى المؤسسات التي يعيش فيها كالسجن ومستشفيات الأمراض العقلية، ذلك أنه إذا عدنا إلى المراحل التاريخية الجزائرية نجدها تحمل حقائق خفية، تتجلى من خلال تحليل الجسد البيولوجي، فقد تمكنت مختلف الظروف السياسية من السيطرة على نمط الحياة في مراحل زمنية

مختلفة أبرزها فترة الثورة المسلحة، وفترة العشرية السوداء، بخلقها أجسادا مختلفة كجسد المعوق، المجنون، الهارب، المدمن، المغتصبة، اليتيم، الأرملة، المشوه...

الهوامش والإحالات:

[1]– يراجع مازن مرسل محمد: **حفريات في الجسد المقموع مقاربة سوسيولوجية ثقافية**، منشورات ضفاف، ط1،الجزائر، 2015، ص 133.

[2]– يراجع: مراد بن سعيد: **مفهوم البيولوجيا السياسية، مقال مأخوذ من الأنترنت تاريخ الدخول:** 25-5-2018 ص14 .

www.caus.org.lb.home.down

[3]–ميشال فوكو :**المراقبة والمعاقبة ولادة السجن**، تر : علي مقلد مراجعة : مطاع الصفدي، مركز الإيماء القومي، ط 1، لبنان، 1990ص 32.

[4]– دليلة الباح: **أطروحة لنيل درجة دكتوراه، المركز والهامش في أدب عيسي لحليح**، إشراف، عبد الرحمان تبرماسين، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، 2016، ص 173.

[5]–هشام العلوي: **الجسد بين الشرق والغرب نماذج وتصورات**، مطبعة النجاح الجديدة منشورات الزمن، دط، المغرب، 2004،ص7.

[6]– ميشال فوكو : **المراقبة والمعاقبة ولادة السجن**ص 32.

[7]– عمر بن شريط: **الجريمة البيضاء**، منشورات المثقف، ط2، الجزائر، 2017 ص 6.

[8]–يراجع: ميشال فوك: **المراقبة والمعاقبة ولادة السجن**، ص 32.

[9]– عمر بن شريط: **الجريمة البيضاء** ص 9.

[10]– واسيني الأعرج: **مملكة الفراشة**، الصدى للصحافة والنشر والتوزيع، ط1، الإمارات العربية،2013 ص 315.

[11]–جاك دريدا، ميشال فوكو وآخرون، **مسارات فلسفية** تر: محمد ميلاد، دار الحوار، ط1،سوريا، 2004،ص26

[12]– واسيني : مملكة الفراشة ص 6.

[13]– عمر بن شريط : **الجريمة البيضاء** ص11 .

[14]–**الرواية** ص 11

[15]– واسيني الأعرج: **مملكة الفراشة**، ص 53.

[16]–يراجع: واسيني الأعرج،**المرجع نفسه**ص 63، 64، 65.

[17]–رشيد التلمساني، **الجزائر في عهد بوتفليقة، الفتنة الأهلية والمصالحة الوطنية**،ع 7، مؤسسة كارينغي للسلام الدولي، لبنان، 2007 ص11 .

[18]– واسيني الأعرج : مملكة الفراشة ص 6

[19]– ميشال فوكو ،**المراقبة والمعاقبة ولادة السجن**، ص 32

[20]–يراجع: محمد سعيد ربيع الغامدي :**الرواية وتحولات الحياة في المملكة العربية السعودية**، النادي الأدبي بالباحة، ط1، السعودية، 2008 ص 22.

[21]– سميرة قبلي : **بعد أن صمت الرصاص** ص 41.

[22]– سميرة قبلي: بعد أن صمت الرصاص، ص48.

[23]– الرواية، ص 5.

[24]–الرواية ص 10.

[25]– سميرة قبلي: **بعد أن صمت الرصاص**ص28 .

[26]– الرواية ص 26.

[27]– الرواية ص .37.

[28]– سميرة قبلي : بعد أن صمت الرصاص ص 28.

[29]– نفسه ص 29.

[30]–يراجع : براندا مارشال: **تعليم ما بعد الحداثة المتخيل والنظرية**، تر: السيد إمام، ط1، مصر،2010ص 132 .

[31]– يراجع : صالح مفقودة :**المرأة في الرواية الجزائرية**، جامعة محمد خيضر،ط2،بسكرة، 2009، ص 18.

[32]–مقال مأخوذ من الأنترنت: سامية بن ادرس، **رائحة الذئب**، مجلة أصوات الشمال بتاريخ 7– 4– 2015على الرابط=http//:www.aswat-elchamal.com ;search

[33]– عادل عبد الله: **التفكيكية**، دار الحصاد للنشر والتوزيع والطباعة، ط1، سوريا، 2000ص 13.

[34]– عادل عبد الله: **نفسه** ص 13.

[35]–فضيلة الفاروق: **تاء الخجل**، منتديات الإيثار، دط، بيروت، ص59

[36]– يراجع: ديهية لويز : **سأقذف نفسي أمامك**، منشورات ضفاف، ط1، الجزائر، 2013ص72،71.

[37]– فضيلة الفاروق، **تاء الخجل** ص 52.

[38]– الرواية ص 56،55.